

حكايات الشعوب

الطاووس الأبيض

وحكايات أخرى
من إسبانيا



Amly
<http://arabicivilization2.blogspot.com>

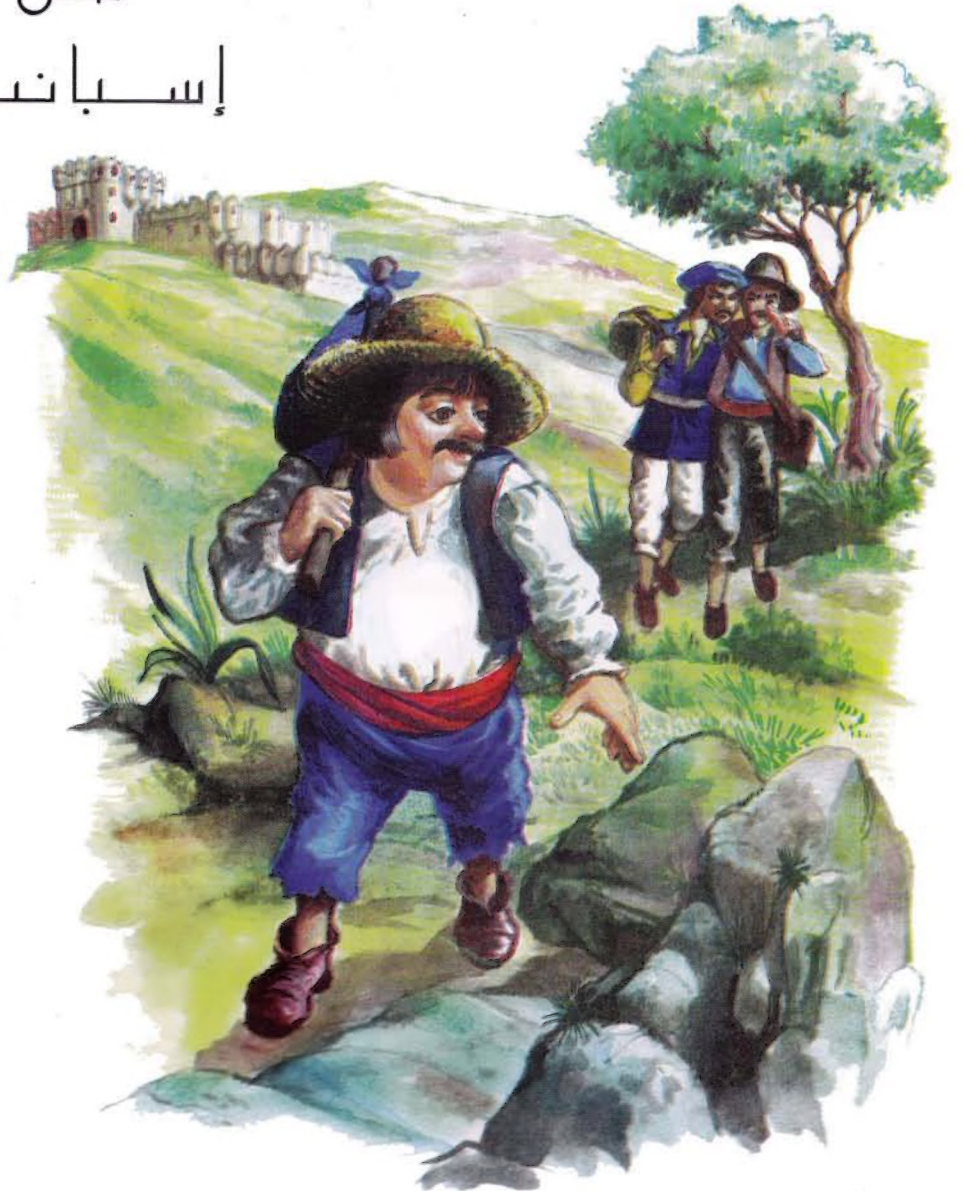
سقيم

عبد التواب يوسف
رسوم : محمد نبيل

الطاووس الأبيض

و حكايات أخرى
من
إسبانيا

عبد التّواب يوسف
رسم
محمّد نبيل





مقدمة

إِسْبَانِيَا أَرْضُ الْأَنْدَلُسِ الْعَرَبِيَّةِ الْعَرِيقَةُ، الَّتِي اسْتَقَرَّتْ فِيهَا الْعَرَبِيَّةُ عَلَى مَدَى يَزِيدُ عَلَى سَبْعِمِائَةٍ وَخَمْسِينَ عَامًا، فَأَضَاءَتْ جَنَابَاتِهَا، فِي الْوَقْتِ الَّذِي كَانَتْ فِيهِ أَوْربَا تَعِيشُ ظِلَامَ الْعُصُورِ الْوُسْطَى . .

وَكَانَتْ الْأَنْدَلُسُ رَافِدَ هَذِهِ الْحَضَارَةِ الزَّاهِرَةِ، وَفَاضَ خَيْرُهَا عَلَى كُلِّ الْبُلْدَانِ الْمَجَاوِرَةِ الْمُتَخَلِّفَةِ فِي كُلِّ الْقَارَةِ . . وَمِنْ هُنَا نَجِدُ أَنَّ الْحِكَايَاتِ الشَّعْبِيَّةَ الْإِسْبَانِيَّةَ الْأَنْدَلُسِيَّةَ أَجْمَلَ وَأَرْوَعُ مِنْ كُلِّ مَا يَرَوُونَهُ فِي أَوْربَا، كَمَا أَنَّهَا أَقْرَبُ إِلَيْنَا مِنْ كُلِّ الْحِكَايَاتِ الْأَوْرَبِيَّةِ؛ لِأَنَّ

فِيهَا شَيْئًا مِمَّا . . وَنَحْنُ لَمْ نَتْرِكْ لَهُمْ فَحَسْبُ تِلْكَ الْأَثَارَ الْبَدِيعَةَ الْفَرِيدَةَ فِي أَرْضِ الْجَنُوبِ، بَلْ إِنَّا أَوْدَعْنَا عِنْدَهُمُ الْحِكْمَةَ الْعَرَبِيَّةَ، وَالْقِيَمَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ، بِكُلِّ مَا فِيهَا مِنْ رَوْعَةٍ وَإِبْهَارٍ، فَانْسَابَتْ فِي تَرَاثِهِمْ وَأَدْبِهِمْ، وَظَهَرَتْ

وَاضِحَةً جَلِيَّةً فِي تِلْكَ الْحِكَايَاتِ الَّتِي تَوَارَثُوهَا . . وَنَحْنُ لَمْ نَتَّعَمِدْ اخْتِيَارَ مَا نَقْدُمُهُ هُنَا، بَحِيثٌ يَكُونُ مُعْبَرًا عَنْ هَذَا الَّذِي نَقُولُهُ، لَكِنَّا نَقْلُنَا أَشْهَرَ مَا لَدَيْهِمْ وَمَا يَعْتَزُّونَ بِهِ .

وَنَحْنُ حِينَ نَقْرَأُ هَذِهِ الْأَعْمَالَ نَشْعُرُ بِحَنِينِ طَاغٍ إِلَى مَاضِينَا الْعَرِيقِ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ، وَنَتَذَكَّرُ مَأْسَاةَ سَقُوطِهَا، وَنَنَاضِلُ مِنْ أَجْلِ أَلَّا يَتَكَرَّرَ ذَلِكَ عَلَى أَىِّ أَرْضٍ عَرَبِيَّةٍ أَوْ إِسْلَامِيَّةٍ .

المؤلف



أَنَا أَكَلْتُ الرَّغِيفَ



كَانُوا ثَلَاثَتُهُمْ فِي طَرِيقِهِمْ إِلَى بِلَادِ الْعَرَبِ، هُمَا اثْنَانِ، وَثَالِثُهُمْ بَسِيطٌ سَادَجٌ طَيِّبٌ، وَقَدْ اتَّفَقُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ عَلَى أَنْ يَقْتَسِمُوا كُلُّ شَيْءٍ خِلَالَ رِحْلَتِهِمُ الطَّوِيلَةَ الْجَمِيلَةَ، وَتَعَاهَدُوا عَلَى الْمَشَارَكَةِ فِي الْمَثْوَى، وَمَا مَعَهُمْ مِنْ طَعَامٍ وَشَرَابٍ بِالْعَدْلِ وَالْقِسْطِ. . . غَيْرَ أَنَّ مَا لَدَيْهِمْ لَمْ يَكْفِهِمْ، وَلَمْ يَتَبَقَّ غَيْرُ حَفْنَةٍ مِنْ دَقِيقٍ، تَكَادُ تَصْلُحُ لِصَنْعِ رَغِيفٍ مِنَ الْخُبْزِ، لَا أَكْثَرَ. . . وَتَهَامَسَ الْاِثْنَانِ فِيمَا بَيْنَهُمَا فِي صَوْتٍ خَفِيفٍ :

- أَنْتَ تَعْرِفُ أَنَّهُ مَا عَادَ لَدَيْنَا مَا يَكْفِينَا مِنَ الْخُبْزِ. . . وَزَمِيلُنَا هَذَا يَأْكُلُ كَثِيرًا، وَيَسْتَأْثِرُ بِأَكْبَرِ كَمِيَّةٍ مِنَ الطَّعَامِ؛ لِذَلِكَ يَجِبُ أَنْ نُدَبِّرَ أَمْرَنَا لِنَسْتَحِذَ عَلَى الرَّغِيفِ، أَوْ عَلَى أَغْلِبِهِ لِي وَلَكَ.

وَأَفَقَ الشَّخْصُ الثَّانِي عَلَى فِكْرَةٍ زَمِيلِهِ، وَعَلَى اقْتِرَاحِهِ، وَبَدَأَ فِي مُنَاقَشَةِ الطَّرِيقَةِ الَّتِي يُنْفِذَانِ بِهَا، وَيُحَقِّقَانِ غَرَضَهُمَا. . . وَجَلَسَا إِلَى صَاحِبِهِمَا السَّادِجِ، وَقَالَ لَهُ أَحَدُهُمَا:

- أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَتَبَقَّ لَنَا غَيْرُ رَغِيفٍ وَاحِدٍ.

- أَعْرِفُ هَذَا.

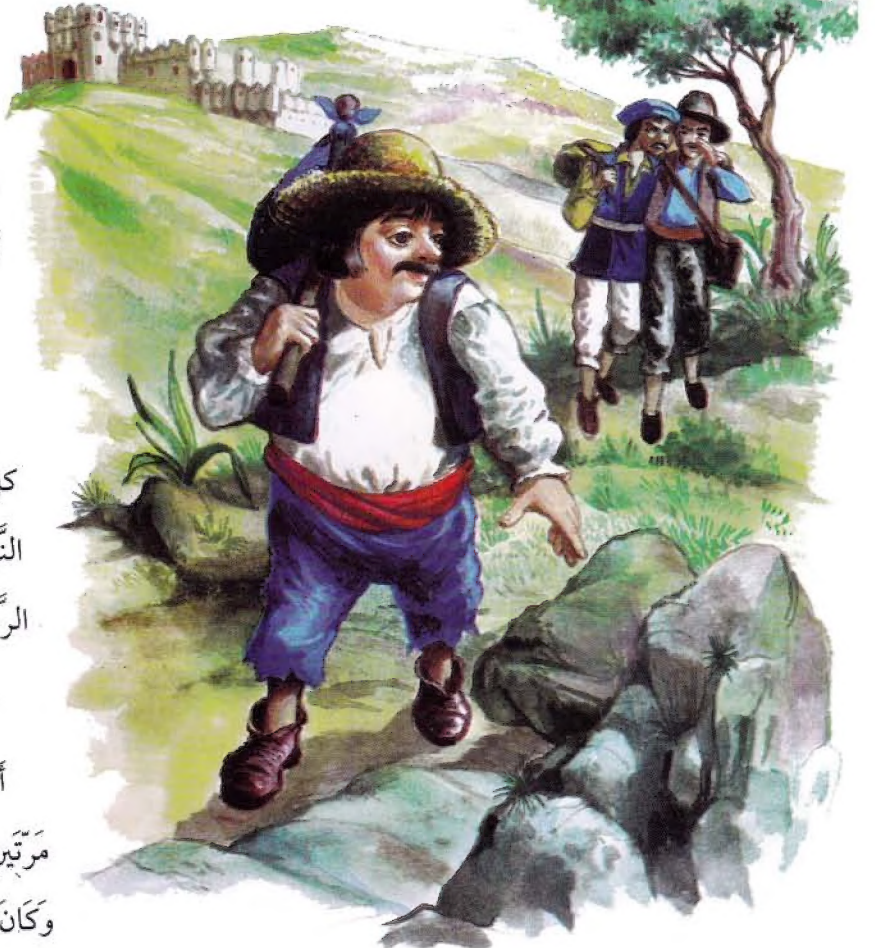
- وَرَأَيْتُ أَنَا وَصَدِيقِي أَنْ نَضَعَهُ فِي الْفُرْنِ، لِنُخْبِزَهُ. . . وَأَنْ نَنَامَ جَمِيعًا إِلَى أَنْ يَتِمَّ خُبْزُهُ.

- لَا مَانِعَ.

- وَعَلَيْنَا بَعْدَ أَنْ نَسْتَيْقِظَ أَنْ يَحْكِيَ كُلُّ مَنَا عَنِ الْحُلْمِ الَّذِي رَأَاهُ فِي أَثْنَاءِ النَّوْمِ، وَصَاحِبُ أَجْمَلِ حُلْمٍ لَهُ أَنْ يَأْكُلَ الرَّغِيفَ وَحْدَهُ.

- لَمْ أَفْهَمْ !!

أَعَادَ الصَّاحِبُ عَلَى السَّادِجِ اقْتِرَاحَهُ مَرَّتَيْنِ قَبْلَ أَنْ تَبْدُو عَلَيْهِ عِلَامَاتُ الْفَهْمِ، وَكَانَ كُلُّ مِنْهُمَا شَدِيدَ الثَّقَةِ بِأَنْ زَمِيلَهُمَا لَنْ



يَسْتَطِيعُ - لِسَدَاجَتِهِ - أَنْ يَتَكَرَّرَ حُلْمًا جَمِيلًا: وَبِذَلِكَ يَسْتَوِلِيَانِ مِنْهُ عَلَى الرَّغِيفِ.. وَقَدْ وَثِقَ كُلُّ مِنْهُمَا بِأَنَّ هَذِهِ الْخُطَّةَ سَتَنْجَحُ، وَأَنَّ اللَّعْبَةَ سَوْفَ تَمُرُّ عَلَيْهِ دُونَ اكْتِشَافِهَا.

قَامَ الشُّرَكَاءُ الثَّلَاثَةُ بِعَجَنِ الدَّقِيقِ، وَإِعْدَادِهِ رَغِيفًا، وَوَضَعُوهُ فِي الْفُرْنِ، ثُمَّ لَزِمَ كُلُّ مِنْهُمْ فِرَاشَهُ لِكَيْ يَنَامَ، وَلِكَيْ يَحْلُمَ حُلْمًا أَجْمَلَ مِنْ حُلْمِ الْاِثْنَيْنِ الْآخَرَيْنِ، مِنْ أَجْلِ أَنْ يَسْتَأْثِرَ وَحْدَهُ بِالرَّغِيفِ.

تَقَلَّبَ السَّادَجُ فِي فِرَاشِهِ بَعْضَ الْوَقْتِ، بَيْنَمَا رَاحَ زَمِيلَاهُ فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ، وَارْتَفَعَ شَخِيرُهُمَا، بَيْنَمَا كَانَ هُوَ لَا يَزَالُ يُحَاوِلُ النَّوْمَ، الَّذِي لَمْ يُوَاتِهِ، وَلَمْ يَغْمُضْ لَهُ جَفَنٌ: هَلْ كَانَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ قَلِقٌ، وَيَخْشَى أَلَّا يَرَى فِي أَثْنَاءِ نَوْمِهِ حُلْمًا؟!

كَانَ السَّادَجُ أَذْكَى كَثِيرًا مِمَّا يَظُنُّ زَمِيلَاهُ.. هُوَ يَدُو كَذَلِكَ، لَكِنَّهُ

فِي حَقِيقَتِهِ قَادِرٌ عَلَى كَشْفِ الْأَعْيِبِ الَّتِي يُرِيدُونَ اسْتِغْلَالَهُ، وَالْإِيقَاعَ بِهِ.. إِنَّهُ لَمْ يَنْمَ لِسَبَبٍ آخَرَ، غَايَةً فِي الْبَسَاطَةِ.. لَقَدْ قَرَّرَ أَنْ يُفَوِّتَ عَلَيْهِمَا فُرْصَةَ انْتِزَاعِ الرَّغِيفِ مِنْهُ، وَمَا إِنْ أَطْمَأَنَّ إِلَى أَنَّهُمَا قَدْ اسْتَغْرَقَا فِي النَّوْمِ حَتَّى قَامَ إِلَى الْفُرْنِ، وَأَخْرَجَ مِنْهُ الرَّغِيفَ، وَلَمْ يَكُنْ قَدْ نَضِجَ تَمَامًا، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ أَصْبَحَ صَالِحًا لِأَنْ يُؤْكَلَ.. وَقَطَعَ الرَّجُلُ ثُلُثَهُ، وَأَعَادَ الْبَاقِي إِلَى الْفُرْنِ، ثُمَّ جَلَسَ وَأَكَلَ مَا قَطَعَهُ.. إِنَّهُ حَقُّهُ، وَقَدْ اسْتَمْتَعَ كَثِيرًا بِالْتِهَامِهِ.. وَبَعْدَ ذَلِكَ دَخَلَ إِلَى فِرَاشِهِ، يُرِيدُ أَنْ يَسْتَمْتَعَ كَذَلِكَ بِنَوْمٍ هَادِيٍّ عَمِيقٍ، لَعَلَّ حُلْمًا جَمِيلًا يَأْتِيهِ، وَبِذَلِكَ يَحْصُلُ عَلَى بَقِيَّةِ الرَّغِيفِ.

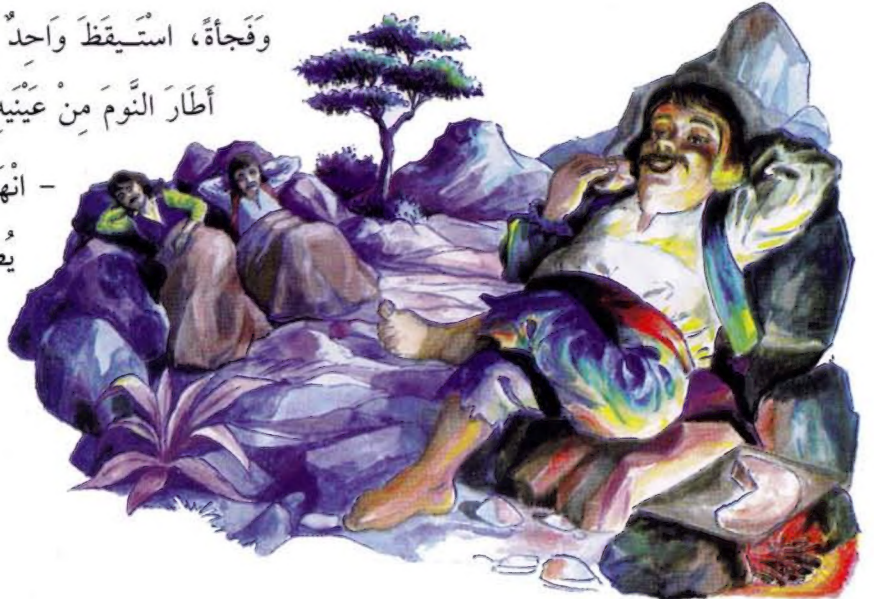
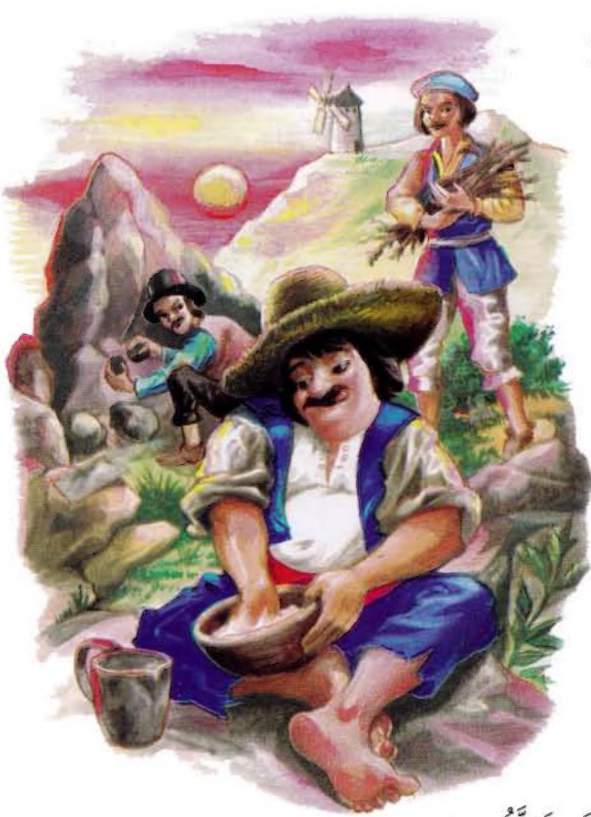
وَفَجْأَةً، اسْتَيْقَظَ وَاحِدٌ مِنَ الرَّفِيقَيْنِ، كَأَنَّمَا حَدَثَ شَيْءٌ خَطِيرٌ أَطَارَ النَّوْمَ مِنْ عَيْنَيْهِ، وَصَاحَ يُوقِظُ الْآخَرَيْنِ:

- انْهَضَا.. انْهَضَا.. لَقَدْ رَأَيْتُ حُلْمًا لَا يُبَدِّقُ.

فَتَحَّ السَّادَجُ عَيْنَيْهِ فِي بُطءٍ وَتَثَاقُلٍ، وَسَأَلَهُ:

- مَاذَا هُنَالِكَ؟!

- سَأَحْكِي لَكُمَا الْحُلْمَ الَّذِي رَأَيْتُهُ.



- تَفَضَّلْ .

- لَقَدْ رَأَيْتُ نَفْسِي وَاقِفًا أَمَامَ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ .

هَتَفَ السَّادَجُ :

- الْجَنَّةُ ؟ !

- نَعَمْ الْجَنَّةُ . . وَكَانَ هُنَاكَ اثْنَانِ يَقِفَانِ عِنْدَهَا ، وَمَا إِنَّ لِمَحَانِي حَتَّى سَارِعًا يَفْتَحَانِ لِيَ الْأَبْوَابَ ، وَيَرْحَبَانِ بِي أَجْمَلَ تَرْحِيبٍ . . هَلْ يُمَكِّنُ لِأَحَدٍ أَنْ يَحْلُمَ مِثْلَ هَذَا الْحُلْمِ الرَّائِعِ ؟ أَظُنُّ أَنَّ الرَّغِيفَ قَدْ أَصْبَحَ لِي وَحْدِي !
قَالَ السَّادَجُ : بَلْ يَجِبُ أَنْ تَسْتَمَعَ إِلَى حُلْمِ زَمِيلِنَا وَحُلْمِي .

- طَبَعًا طَبَعًا .

بَدَأَ الزَّمِيلُ الثَّانِي يَرَوِي الْحُلْمَ الَّذِي رَأَاهُ :

- أَمَّا أَنَا ، فَقَدْ جَاءَنِي أَيْضًا اثْنَانِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَحَفَرَا فِي الْأَرْضِ إِلَى أَنْ وَصَلَا بِي إِلَى أَعْمَقِ أَعْمَاقِهَا .
سَمِعَ السَّادَجُ هَذَا كُلَّهُ ، وَهُوَ يَتَظَاهَرُ بِأَنَّهُ نَائِمٌ ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ فَجَاءَهُ ، مَفْزُوعًا مَرْوَعًا ، وَهُوَ يَقُولُ :

- مَنْ هَذَا الَّذِي يُنَادِينِي ؟

- نَحْنُ زَمِيلَاكَ .

- هَلْ عُدْتُمَا ؟

- إِلَى أَيْنَ ذَهَبْنَا حَتَّى نَعُودَ ؟

- سَأُحْكِي لَكُمَا مَا حَدَثَ .

- هَيَّا . . وَبِسُرْعَةٍ .

قَالَ السَّادَجُ - وَمَا هُوَ

بِسَاجِدٍ - :

- لَقَدْ صَحَوْتُ قَبْلَكُمَا بِقَلِيلٍ ،

وَخَشِيتُ أَنْ يَحْتَرِقَ الرَّغِيفُ فِي

الْفُرْنِ ، فَأَخْرَجْتُهُ ، وَتَرَكْتُهُ يَبْرُدُ فِي

مَكَانٍ أَمِينٍ مِنْ أَجْلِ صَاحِبِهِ الَّذِي سَيَفُوزُ بِهِ ، وَهُوَ الَّذِي رَأَى أَجْمَلَ حُلْمٍ .

صَاحَ أَحَدُ الزَّمِيلَيْنِ :





- وَأَيْنَ هُوَ الْآنَ ؟!

- سَوْفَ تَعْرِفُ، وَكُنْ حَلِيمًا مَعِيَ.

صَرَخَ الثَّانِي :

- تَكَلَّمْ .. أَكْمِلْ.

- هَلْ رَأَيْتَ حُلْمًا فِي أَثْنَاءِ نَوْمِكَ ؟

قَالَ السَّادِجُ فِي هُدُوءٍ :

- نَعَمْ .. رَأَيْتُ حُلْمَيْنِ، فِي الْأَوَّلِ

جَاءَ مَلَكَانِ وَأَخَذَا أَحَدَكُمَا، وَمَضَيَا بِهِ إِلَى الْجَنَّةِ.

- هَذَا هُوَ أَنَا .. وَذَلِكَ هُوَ مَا حَلَمْتُ بِهِ.

صَاحَ الْآخَرُ :

- وَأَصِلْ حَدِيثَكَ.

- فِي الْحُلْمِ الثَّانِي جَاءَ مَلَكَانِ

آخِرَانِ، وَأَخَذَا زَمِيلَنَا إِلَى جَهَنَّمَ فِي بَاطِنِ الْأَرْضِ، إِذْ إِنَّ هُنَاكَ نَارًا رَهِيبةً.

- هَلْ هَذَا وَذَلِكَ مَا رَأَيْتَ فِي أَثْنَاءِ نَوْمِكَ ؟

قَالَ السَّادِجُ :

- نَعَمْ .. وَقَدْ رَأَيْتُمَا أَنْتُمَا الْحُلَمَيْنِ تَأْكِيدًا وَإِثْبَاتًا لِصِدْقِ قَوْلِي.

- لَكِنْ مَا الَّذِي حَدَّثَ لِلرَّغِيفِ ؟

- أَيْنَ هُوَ ؟

قَالَ مَنْ طَنُوهُ سَادَجًا :

- لَقَدْ صَحَوْتُ قَبْلَكُمَا، لَكِنِّي لَمْ أَعْثُرْ فِي الْفُرْنِ إِلَّا عَلَى ثُلْثِي رَغِيفٍ .. وَلَمَّا كُنْتُ عَلَى يَقِينٍ مِنْ أَنَّكُمَا لَنْ

تَعُودَا؛ إِذْ إِنَّ وَاحِدًا مِنْكُمَا قَدْ مَضَى إِلَى الْجَنَّةِ، وَالثَّانِي قَدْ أُلْفِيَ بِهِ فِي النَّارِ؛ لِذَلِكَ فَقَدْ أَكَلْتُ الرَّغِيفَ .. نَعَمْ، أَنَا أَكَلْتُ الرَّغِيفَ.

الطاووس الأبيض



كَانَ هُنَاكَ طَاوُوسٌ أَبْيَضٌ .. وَهُوَ لَمْ يَكُنِ الطَّاوُوسَ الْأَبْيَضَ الْوَحِيدَ فِي لَشُبُونَةٍ وَحْدَهَا، أَوْ فِي
إِسْبَانِيَا فَقَطْ، لَكِنَّهُ كَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ لَا يُوجَدُ غَيْرُهُ فِي كُلِّ الدُّنْيَا .. وَكَانَ جَمِيلًا .. جَمِيلًا ..
إِلَى حَدِّ أَنْتَانَا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَصِفَ بَهَاءَهُ .. مَا يَكَادُ يَسِيرُ فِي أَرْجَاءِ حَدِيقَةِ الْقَصْرِ حَتَّى يَسْتَرْعِي
الْأَنْظَارَ وَيَشُدَّ الْاِتِّبَاهَ، وَمَا يُمَكِّنُ لِأَحَدٍ أَنْ يَرْفَعَ بَصَرَهُ عَنْهُ، وَلَا بُدَّ لِكُلِّ مَنْ يَرَاهُ أَنْ يَهْتَفَ بِكَلِمَاتِ الْإِعْجَابِ
الشَّدِيدِ، فَاتِحًا عَيْنَيْهِ وَقَمَهُ فِي انْبِهَارٍ :

- يَا أَلَلَّهُ عَلَى جَمَالِهِ .

وَكَانَ الطَّاوُوسُ الْأَبْيَضُ يُدْرِكُ ذَلِكَ؛ لِهَذَا كَانَ يَتَمَشَّى بِخُطَوَاتٍ وَثِيْدَةٍ، قَصِيْرَةٍ، رَافِعًا رَأْسَهُ لِلسَّمَاءِ، مَا دَا رَقَبَتَهُ
فِي اعْتِرَازٍ وَخِيْلَاءَ، بِأَسْطًا ذَيْلُهُ فِي نِصْفِ دَائِرَةٍ،
يُشَكِّلُهَا رِيْشُهُ فِي نَسَقٍ بَدِيعٍ ...

- مَا أَرْوَعَ صَنِيعَكَ يَا أَلَلَّهُ .

وَيَمْضِي الطَّاوُوسُ الْأَبْيَضُ تَجَاهَ بَحِيرَةٍ
الْبَطِّ، يَتَهَادَى فِي صَمْتٍ وَوَقَارٍ، كَأَنَّمَا
يَقُولُ لِلْجَمِيعِ :

- انظُرُوا .. وَاسْتَمْتِعُوا .. هَلْ

رَأَيْتُمْ لِي مِثْلًا ؟

وَهُوَ يَتَطَلَّعُ هُنَا وَهُنَا، وَيُلْقِي
بِنَظَرَةٍ إِلَى هَذَا أَوْ ذَلِكَ، وَسُرْعَانَ مَا
يَسْتَرِدُّهَا، هُوَ وَحْدَهُ الْجَدِيرُ بِأَنْ
يَتَطَلَّعَ إِلَيْهِ الْجَمِيعُ، وَيُرَكِّزَ الْكُلُّ
بَصَرَهُ عَلَيْهِ .. وَعِنْدَمَا يَصِلُ إِلَى
الْبَحِيرَةِ يَنْظُرُ إِلَى صُورَتِهِ عَلَى
سَطْحِ مَائِهَا الصَّافِي وَيَتَمَلَّى فِيهَا،
وَيَتَمَنَّى لَوْ أَنَّهُ لَا يُغَادِرُهَا أَبَدًا،
وَيَرْجُو لَوْ أَنَّهُ بَقِيَ طَوَالَ يَوْمِهِ



يَتَمَتَّعُ بِهَا. . وَمَا أَجْدَرَهَا بِذَلِكَ، وَهِيَ تَسْتَحِقُّهُ بِدُونِ شَكٍّ.

مَا مِنْ أَحَدٍ فِي لَشْبُونَةَ، أَوْ فِي إِسْبَانِيَا، أَوْ فِي الْعَالَمِ كُلِّهِ إِلَّا شَعَرَ بِالْغَيْرَةِ مِنْ هَذَا الطَّاوُوسِ الْأَبْيَضِ. .
وخاصَّةً جَلَالَةَ الْمَلِكَةِ، صَاحِبَةِ الْقَصْرِ، الَّتِي اقْتَنَتْ الطَّاوُوسَ ثُمَّ أَحَسَتْ أَنَّهُ يَجْذِبُ إِلَيْهِ الْأَنْظَارَ، فَلَا تَتَّجِهُ إِلَيْهَا.

- كَيْفَ يَهْتَمُّ النَّاسُ بِهَذَا الطَّاوُوسِ أَكْثَرَ مِنْ أَهْتِمَامِهِمْ بِي، أَنَا «الْمَلِكَةُ» !؟

كَانَتْ جَلَالَتُهَا سَمِينَةً بَدِينَةً، وَإِذَا مَا سَارَتْ فِي أَبْهَاءِ الْقَصْرِ أَوْ الْحَدِيقَةِ تَرَجَّحَ لَحْمُهَا، وَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا النَّاسُ
بِجَانِبِ عْيُونِهِمْ حَاوَلُوا أَنْ يَكْتُمُوا ضَحِكَاتِهِمْ وَأَنْ يُخْفُوا ابْتِسَامَتَهُمْ؛ الْأَمْرُ الَّذِي كَانَتْ تَعْرِفُهُ تَمَامَ الْمَعْرِفَةِ، وَتَضِيقُ بِهِ
كُلَّ الضِّيقِ؛ لِذَلِكَ نَشِبَتْ فِيمَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الطَّاوُوسِ الْأَبْيَضِ مَعْرَكَةٌ. . كَانَتْ فِي الْبِدَايَةِ صَامِتَةً. . هُوَ يَتَعَالَى عَلَيْهَا،
وَهِيَ قَرَّرَتْ أَنْ تَقْضِيَ عَلَى صُلْفِهِ وَكِبْرِيَائِهِ وَغُرُورِهِ، بِشَكْلِ أَوْ بِآخَرٍ؛ لِتَكُونَ وَحْدَهَا مَحَطَّ الْأَنْظَارِ.

أَقْبَلَ الصَّيْفُ. .

وَهُوَ فِي لَشْبُونَةَ فِي جَنُوبِ إِسْبَانِيَا شَدِيدُ
الْحَرَارَةِ، وَلَكِنَّ غَضَبَ جَلَالَةِ الْمَلِكَةِ الْبَدِينَةِ عَلَى
طَاوُوسِهَا الْأَبْيَضِ كَانَ أَشَدَّ حَرَارَةً، لِذَلِكَ
اسْتَدْعَتْ إِلَيْهَا رَئِيسَ الْخَدَمِ، وَقَالَتْ لَهُ :

- هَذَا الطَّاوُوسُ الْأَبْيَضُ

يَحْتَاجُ مِنَّا أَنْ نُلَقِّنَهُ دَرْسًا فِي

التَّوَاضُّعِ لَا يَنْسَاهُ أَبَدًا. . سَوْفَ

أُقِيمُ حَفْلًا فَاخِرًا فِي الْقَصْرِ أَدْعُو

إِلَيْهِ أَصْحَابَ الْفَخَامَةِ وَالسُّمُوِّ

وَالرَّفْعَةِ فِي الْبِلَادِ، وَلَا أُرِيدُ لِهَذَا

الطَّاوُوسِ الْأَبْيَضِ أَنْ يَخْطِفَ مِنِّي

الْأَضْوَاءَ، لِذَلِكَ اذْهَبُوا وَقْصُوا لِي

ذَيْلَهُ، وَانْتَزِعُوهُ، مِنْ أَجْلِ أَنْ

أَسْتَخْدِمَهُ مِرْوَحَةً، تُخَفِّفُ عَنِّي

حَرَارَةَ الْجَوِّ !

فَرَعَ كَثِيرُ الْخَدَمِ لَذَلِكَ، وَعِنْدَمَا نَقَلَ

أَوَامِرَ جَلَالَةِ الْمَلِكَةِ إِلَى مُعَاوِنِيهِ أَبَدُوا دَهْشَةً



شَدِيدَةً، لَكِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَمْنَعْ بَعْضَهُمْ مِنْ أَنْ يَهْتَفَ :

- إِنَّهُ يَسْتَحِقُّ هَذَا !

وَعِنْدَمَا عَلِمَ الطَّاوُوسُ الْأَبْيَضُ بِالْأَمْرِ نَزَلَ عَلَيْهِ كَالصَّاعِقَةِ، وَاشْتَدَّ بِهِ الدُّعْرُ، وَخَافَ مِنْ أَنْ يَفْقِدَ ذِيلَهُ الْجَمِيلَ،
الَّذِي يَعْتَزُّ بِهِ كُلُّ الْأَعْتَزَّازِ، وَاضْطَرَبَ، وَلَمْ يُعِدْ
يُسْطُهُ عَلَى الْإِطْلَاقِ، بَلْ جَمَعَ رِيشَهُ، وَحَاوَلَ أَنْ
يُخْفِيَهُ، وَمَشَى بِأُثْسًا، مُنْكَسِرَ الرَّأْسِ، دَامِعَ الْعَيْنَيْنِ،
كَأَنَّهُ دَجَاجَةٌ ذَلِيلَةٌ أَهْمَلَهَا الدِّيْكُ.

هَمَسَ الطَّاوُوسُ الْأَبْيَضُ لِنَفْسِهِ :

- يَجِبُ أَلَا أَرْضَخَ لَهُذَا
الْأَمْرِ الْجَائِرِ وَالْقَرَارِ الظَّالِمِ..
لَا بُدَّ لِي مِنْ أَنْ أَجِدَ حَلًا..
مَا ذَنْبِي وَقَدْ خَلَقَنِي اللَّهُ جَمِيلًا
...!؟ وَجَاءَهُ الرَّدُّ مِنْ دَاخِلِهِ :

- لَكَ أَنْ تَعْتَزَّ بِجَمَالِكَ، لَا أَنْ
تَغْتَرَّ بِهِ، وَتَتَبَهَّ عَلَى كُلِّ الْمَخْلُوقَاتِ
وَخَاصَّةً هَذِهِ الَّتِي تَرَعَاكَ!.. وَمِنْ
جَدِيدٍ، قَالَ :

- لَكِنِّي يَجِبُ أَنْ أُحَافِظَ عَلَى هَذَا



الجمال، وأن أقاتل من أجله، وكو ضد الملكة !

وخطرت على باله فكرة، سرعان ما عمل على تنفيذها. . اتجه نحو القصر هادئاً ودِيعاً، يسير في ضعف وهوان، وصعد السلم، وقد انكمش على نفسه، وطوى ريشه، ومضى إلى غرفة الملكة مباشرة، ولم يعترض طريقه أحد؛ إذ إنهم أشفقوا عليه إزاء محتته بعد قليل من التفكير. . وطرق باب جلالتها، ودخل إليها لينحني ويقول :

- مولاتي، ما السبيل لكي أنقذ ذيلي وأحتفظ به ؟

- لقد رأيت أنه من الأفضل أن تتخلص منه وتتخلى عنه.

قال الطاووس الأبيض في صوت تبطنه الدموع :

- إنه كل ما أملك. . وما من شيء لي سواه !

- هذه هي الوسيلة لكي تنهي غرورك وصالفك.

- ما حدث أعادني إلى صوابي.

- عليك أن تبرهن على ذلك، وتثبتته، وتقدم

الدليل عليه.

سادت لحظة صمت، كان من الواضح أن الطاووس

الأبيض يمعن خلالها في التفكير في شيء ما يرضى به

جلالة الملكة. . وبعد حين رفع رأسه، وقال في صوت

هادئ يستعطفها :





- غَدًا يُقَامُ الْحَفْلُ الْكَبِيرُ . وَسَوْفَ أَذْهَبُ لِيَأْخُذَ حَمَامًا دَافِئًا، وَأَغْتَسِلَ، لِيَكُنَّ أَبْدُو نَظِيفًا، وَ«أَكْثَرُ بَيَاضًا»، وَعِنْدَمَا تَجْلِسِينَ جَلَالَتُكَ عَلَى الْعَرْشِ سَوْفَ أُنْسَلُّ مِنْ وَرَائِكَ، دُونَ أَنْ أَلْفَتَ الْأَنْظَارَ، وَأَقِفُ مِنْ خَلْفِ الْعَرْشِ، وَأَهْزُ ذَيْلِي كَأَنَّهُ مَرْوَحَةٌ . . سَوْفَ أَكُونُ مُخْتَفِيًا تَمَامًا، وَلَكِنْ يَرَانِي أَحَدٌ . . فَقَطْ: ذَيْلِي يَرْتَفِعُ وَيَنْخَفِضُ، وَيَتَحَرَّكُ يَمِينًا وَشِمَالًا، وَيَهْفُهُ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْ جَلَالَتِكَ حَرَارَةَ الْجَوِّ . . كَمْ سَيَكُونُ هَذَا الْمَنْظَرُ بَدِيعًا وَأَخَادًا وَجَدَابًا . .

تَصَوَّرَتِ الْمَلِكَةُ هَذَا الْمَشْهَدَ، وَرَأَتْ أَنَّهُ فِعْلًا مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ يَكُونَ بَدِيعًا، وَرَائِعًا، فَقَالَتْ لِلطَّائِوُسِ الْأَبْيَضِ:
- إِنَّهَا فِكْرَةٌ لَا بَأْسَ بِهَا، وَلَكِنَّهَا تَحْتَاجُ مِنْكَ إِلَى تَدْرِيبٍ طَوِيلٍ، خَاصَّةً أَنَّكَ إِذَا لَفَتَ إِلَيْكَ الْأَنْظَارَ فَلَنْ يَطِيرَ مِنْكَ ذَيْلُكَ فَقَطْ.

ضَحِكَ الطَّائِوُسُ الْأَبْيَضُ لِيُخَفِّفَ مِنْ تَوَثُّرِ الْمَوْقِفِ، وَقَالَ :

- أَعْرِفُ أَنَّ رَأْسِي أَيْضًا سَيَطِيرُ.

ابْتَسَمَتِ الْمَلِكَةُ وَقَالَتْ : إِذَا كُنْتُ قَدْ أَدْرَكْتُ هَذَا، فَأَذْهَبُ وَحَاوِلُ أَنْ تُتَقِنَ مُهِمَّتَكَ.



غَادَرَ الطَّاوُوسُ الْأَبْيَضُ الْمَكَانَ،
وَهُوَ يَشْعُرُ بِارْتِيَاحٍ عَمِيقٍ. . وَلَمْ يَنْمُ
طِيلَةَ لَيْلَتِهِ؛ إِذْ رَاحَ يَتَدَرَّبُ عَلَى
تَحْرِيكِ ذَيْلِهِ، كَمَرْوَحَةٍ حَيَّةٍ، تَهْفُفُ
وَتُرْفَرُ مِنْ حَوْلِ الْمَلِكَةِ، دُونَ أَنْ يَرَاهُ
أَحَدٌ أَوْ تَقَعَ عَلَيْهِ عَيُونُ الضُّيُوفِ. .
وَكَانَ يَقُولُ لِنَفْسِهِ فِي أَثْنَاءِ التَّمَرِينِ
وَالْتَدْرِيبِ وَأَيْضًا خِلَالَ مُمَارَسَتِهِ
لِمُهْمَّتِهِ هَذِهِ فِي الْيَوْمِ التَّالِي خِلَالَ
الْحَفْلِ الْكَبِيرِ :

- لَاشْكَّ أَنَّ دُنْيَانَا مَلِيئَةٌ بِالطَّاوُوسِ
الْجَمِيلَةِ. . وَلَسْتُ أَظُنُّنِي الطَّاوُوسَ
الْأَبْيَضَ الْوَحِيدَ فِي هَذَا الْعَالَمِ، فَإِنَّ
الَّذِي خَلَقَنِي قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلِي
بِالْعَشْرَاتِ، وَرَبَّمَا بِالْمِائَاتِ، بَلْ
وَالْأَلُوفِ، بَيْنَمَا كُنْتُ أَنَا وَحْدِي الَّذِي
ضَاقَ بِهِ الْجَمِيعُ بِسَبَبِ غُرُورِهِ. . مَاذَا
لَوْ أَنَّنِي فِعْلًا قَدْ فَقَدْتُ ذَيْلِي؟! . . لَوْ

أَنَّ هَذَا حَدَثَ - لَا قَدَرَ اللَّهُ - مَا بَقِيَتْ طَاوُوسًا. . كُنْتُ سَأَنْتَهِي إِلَى الْأَبَدِ، جَمِيلٌ أَنِّي اسْتُخْدِمْتُ رَأْسِي
بَدَلًا مِنْ ذَيْلِي، وَفَكَّرْتُ وَتَوَصَّلْتُ إِلَى هَذَا الْحَلِّ الْجَمِيلِ.

كَانَتْ هَذِهِ هِيَ الْأَفْكَارُ الَّتِي خَطَرَتْ عَلَى بَالِ الطَّاوُوسِ وَهُوَ يَرُوحُ عَنْ جَلَالَةِ الْمَلِكَةِ فِي أَثْنَاءِ جُلُوسِهَا عَلَى
عَرْشِهَا فِي الْحَفْلِ، وَقَدْ احْتَفَى بِهَا الْكُبْرَاءُ وَالْعُظَمَاءُ، وَتَطَلَّعُوا بِدَهْشَةٍ إِلَى هَذِهِ الْمُهْمَةِ الْجَلِيلَةِ الَّتِي يَنْهَضُ بِهَا
الطَّاوُوسُ الْأَبْيَضُ، وَأَعْجَبُوا بِهَا أَكْثَرَ مِنْ إِعْجَابِهِمْ بِهِ. . أَخِيرًا أَصْبَحَ لَهُ عَمَلٌ يُؤَدِّيهِ. . بَدَلًا مِنْ هَذَا الْغُرُورِ
وَالْتَّعَالَى.

وَشَعَرَ أَهْلُ لَشَبُونَةَ بِالْإِرْتِيَاحِ؛ لِأَنَّ الطَّاوُوسَ الْأَبْيَضَ لَمْ يَفْقِدْ ذَيْلَهُ، بَعْدَ أَنْ اسْتُخْدِمَ رَأْسُهُ.

رِحْلَةٌ قَصِيرَةٌ إِلَى إِسْبَانِيَا

بِلَادُ جَمِيلَةٌ، شَمْسُهَا مُشْرِقَةٌ، تَشْتَهَرُ بِمُصَارَعَةِ الثَّيْرَانِ . وَكَرَّةِ الْقَدَمِ وَأَيْضًا بِالْقِلَاعِ وَالْقُصُورِ الَّتِي يَزِيدُ عَدَدُهَا عَلَى ١٤٠٠ .

كَانَتْ إِسْبَانِيَا قَدْ دَخَلَهَا أَجَانِبٌ كَثِيرُونَ:

* حَكَمَهَا الْفِينِيقِيُّونَ - أَهْلُ سَاحِلِ الشَّامِ: لُبْنَانُ وَسُورِيَا وَالْأَرْدُنُّ - نَحْوَ ثَلَاثَةِ آلَافِ سَنَةٍ .

* اسْتَوْلَى عَلَيْهَا الْقَرطَاجَنِيُّونَ الْإِفْرِيقِيُّونَ، وَعَاشُوا قُرْبَ مَدِينَةِ تُونِسَ الْحَالِيَةِ، وَأَشْهَرُ قُوَادِمِهِمْ «هَانِيَال» الَّذِي تَجَاوَزَ إِسْبَانِيَا حَتَّى وَصَلَ إِلَى إِيطَالِيَا، وَهَزَمَ الرُّومَانَ فِي عَقْرِ دَارِهِمْ .

* أَصْبَحَتْ بَعْدَ فِتْرَةٍ جُزْءًا مِنَ الْإِمْبِرَاطُورِيَّةِ الرُّومَانِيَّةِ .





* فَتَحَهَا الْعَرَبُ وَالْمُسْلِمُونَ،
وَصَارَتْ أَعْظَمَ مَوَاقِعِ الْحَضَارَةِ
الْإِسْلَامِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ الزَّاهِرَةِ طِيلَةَ
(٧٥٠) عَامًا.

* كَانَ الْعَرَبُ يُسَمُّونَهَا «الْأَنْدَلُسُ»،
وَقَدْ سَقَطَتْ بَعْدَ ذَلِكَ سَقُوطًا مُدَوِّيًّا
بَيْنَ أَيْدِي الْأُورَبِيِّينَ.

* اسْتَطَاعَ «كْرِيسْتوفر كولمبس»
اِكْتِشَافَ أَمْرِيكََا وَأَعْلَنْتْ إِسْبَانِيَا
امْتِلَاكَهَا لَهَا، وَاسْتَعْمَرَتْهَا، وَبِذَلِكَ
اسْتَوْلَتْ عَلَى كَمٍّ كَبِيرٍ مِنَ الذَّهَبِ
جَعَلَهَا وَاحِدَةً مِنْ أَغْنَى بُلْدَانِ الْعَالَمِ
عَامَ (١٥٠٠م).

دَخَلَتْ إِسْبَانِيَا حُرُوبًا كَثِيرَةً خَارِجِيَّةً
وَدَاخِلِيَّةً أَفْقَدَتْهَا ثُرُوتَهَا الْكَبِيرَةَ،
فَصَارَتْ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ أَفْقَرِ بُلْدَانِ
أُورَبَا.

شَتَّانَ مَا بَيْنَ مَاضِيهَا الْقَرِيبِ
وَحَاضِرِهَا الَّذِي تَعْتَمِدُ فِيهِ عَلَى

السِّيَاحَةِ وَبَعْضِ الْمَحَاصِيلِ الزَّرْعِيَّةِ؛ حَيْثُ يَعْمَلُ نِصْفُ السُّكَّانِ فِي الزَّرْعَةِ.

تَشْتَرِكُ إِسْبَانِيَا وَالْبُرْتُغَالُ فِي شِبْهِ جَزِيرَةِ آيْبَرِيَا، وَإِنْ كَانَتْ إِنْجِلْتَرَا تَحْتَفِظُ بِمَضِيقِ جَبَلِ طَارِقِ، وَمِسَاحَتُهَا تَزِيدُ
قَلِيلًا عَلَى نِصْفِ مِسَاحَةِ مِصْرَ؛ إِذْ إِنَّهَا تَمْتَلِكُ أَرْضِي أُخْرَى خَارِجَ حَدُودِهَا تَصِلُ إِلَى ثُلْثِ مِسَاحَتِهَا.

الْعِيدُ الْقَوْمِيُّ لِإِسْبَانِيَا يُوَافِقُ الثَّانِي مِنْ مَآيُو مِنْ كُلِّ عَامٍ احْتِفَالًا بِثَوْرَتِهَا ضِدَّ «نَابَلْيُون بُونَابَرْت» يَوْمَ (٢) مِنْ مَآيُو
سَنَةِ (١٨٠٨م).

وَعَمَلَةُ إِسْبَانِيَا اسْمُهَا «بِزِيْتَا».

فهرس



أنا أكلت الرغيف

٤



الطاووس الأبيض

٨

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لشركة **سفيج**

رقم الإيداع ٣٠٥٤ / ٩٨ الترقيم الدولي : 5 - 597 - 261 - 977 ISBN

حكايات الشعوب

تؤلف الشعوب حكايتها الجميلة، تنبت لها
أجنحة، ترفرف بها وتطير مهاجرة حرة لا تعرف
الحدود أو القيود، تهبط في هذه السلسلة فوق شجرتنا،
تغرد، تغنى، تمتعنا، وتحلق عاليًا، تزيد من معرفتنا للإنسان
في كل زمان ومكان، تخاطب فينا وجداننا وعقولنا، وتثير فينا
حبًا للشعوب والناس والحياة على كوكبنا، هي حكايات ملونة،
عذبة، جذابة، شيقة، رشيقة.

عناوين السلسلة

- * توكيتارو. وحكايات أخرى من اليابان.
- * هونشي. وحكايات أخرى من اليابان.
- * بيت العنكبوت. وحكايات أخرى من إفريقيا.
- * الفراشة الصفراء. وحكايات أخرى من إفريقيا.
- * دون دمينينو. وحكايات أخرى من إسبانيا.
- * الطاووس الأبيض. وحكايات أخرى من إسبانيا.
- * حضرة العمدة. وحكايات أخرى من السلاف.
- * من يفوز. وحكايات أخرى من السلاف.
- * إن شاء الله. وحكايات أخرى من إندونيسيا.
- * تل النمل. وحكايات أخرى من إندونيسيا.
- * قوس قزح. وحكايات أخرى عن الهنود الحمر.
- * أكل السحب. وحكايات أخرى عن الهنود الحمر.

